

تركيا وباكستان، والخطأ الأميركي يتكرر

الكاتب : أحمد موفق زيدان

التاريخ : 22 سبتمبر 2015 م

المشاهدات : 4252



ظلت باكستان منذ نشأتها حليفاً ظاهرياً على الأقل لوريثة الاحتلال البريطاني لشبه القارة الهندية أميركا، ولكن حين جدّ الجدّ واشتد الخطب على باكستان في مفاصل تاريخية مهمة لم تجد باكستان حليقتها أميركا، وإنما وجدت نفسها كمن يصرخ في البرية طالباً النجدة من أسطول أميركي وعد بالوصول لإنقاذها إبان انفصال بنغلاديش عنها 1971، وهو الأسطول الذي لم يأتي بعد ولن يأتي.

وحين احتاجت أميركا باكستان لتكون نافذتها على الصين لعبت باكستان الدور كما أرادته واشنطن فاستقبلت سرياً يومها وزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر وتوجه منها إلى الصين وبدأت دبلوماسية اليبينغ بونغ، وبعد سنوات كانت باكستان

على موعد تاريخي آخر مع التلاقي الأميركي في أفغانستان لتطوير الحرب الباردة مع السوفيات إلى حرب ساخنة ساحتها أفغانستان...

استفادت أميركا من باكستان بإدماه الدب الروسي عبر المجاهدين الأفغان، ولكن نجحت باكستان بالمقابل بفرض شروطها الكاملة على طريقة التعامل والتعاطي مع الحدث الأفغاني إن كان بتقديم نفسها كمفاوض شرعي ووحيد للجهاد الأفغاني، بحيث كل الدعم والمساندة للجماعات الأفغانية عن طريقها فقط، وهي من تحدد نسبة الدعم لكل فصيل، وهو ما وفر لها علاقات وصلات وتأثيرات لا تزال متواصلة على كل المجموعات الأفغانية.

كما استفادت باكستان أيضاً من الغطاء الأميركي ببناء مفاعلها النووي الذي كان بحاجة لشهادة الرئيس الأميركي سنوياً أمام الكونغرس على أنها لا تبني مفاعلاً نووياً، وإنما تتعرض لقطع المساعدات الأميركية عنها، إذ كانت تعد المتلقى الثالث للدعم الأميركي بعد إسرائيل ومصر..

لكن سنوات العسل الأميركيـة - الباكستانية لم تستمر، فقد أُغتيل الرئيس الباكستاني السابق الجنرال ضياء الحق مع خيرة جنرالاته في حادث تحطم الطائرة الشهير 1988 وأشار البعض بأصابع الاتهام للاستخبارات المركزية الأميركيـة التي كانت تخشى من بروز تكتل إسلامي قوي من إسلام آباد إلى كابول، ومع بدء الانسحاب السوفيـاتي من أفغانستان وقرب الانتصار العسكري للمجاهدين الأفغان، ومنها بدأت الاستدارة العلنية الأميركيـة القوية باتجاه الهند بعد أن استنفذت أغراضها من باكستان وفرضت عليها العقوبات الاقتصادية والعسكرية، ومعها لجأت إلى إيران في طلب خدماتها بدعم وتسهيل هجومها على طالبان الخصم المذهبـي والسياسي والتاريخـي لإجلائها عن السلطة، وهو ما دفع باكستان إلى حجز مقعد لها في هذا الهجوم تحت عنوان الحرب على الإرهاب، خشية أن تختلف عن الركب بعد أن تقدم عليها وبـرها بالعلاقة مع الأميركيـين طهران ونيودلهي...

كل هذه السياسات الأميركيـة جذـرت العداء المجتمعي الـباكستاني لواشنطن وسياساتها، وهو ما دفع جنـرال أمـيرـكي يقول يوماً إنه لا فرق في العداء الـباكـستـاني لأـميرـكا بين خطـيبـ من على منـبرـ بهـاجـمـ أمـيرـكا وجـنـرـالـ باـكـسـتـاني يـحتـسـيـ نـخـباـ منـ الـلوـيـسـكـيـ.

مثل هذه السياسـات العـدائـية لـباـكـسـتـانـ والـخـذـلـانـ إـسـلامـ آـبـادـ خـلـقـ وـصـنـعـ جـيـلـ طـالـبـانـيـ وـقـاعـدـيـ فـيـهاـ، وـصـنـعـ مـعـهـ عـداءـ باـكـسـتـانـيـ غـيـرـ مـسـبـقـ، بلـ وـيـتـصـاعـدـ بـشـكـلـ طـرـدـيـ سـتـحـصـدـ واـشـنـطـنـ لـاحـقاـ مـرـهـ وـعـلـقـمـهـ..

هذه المقدمة عن باكستان والسياسة الأميركيـة الـليـومـ تـنسـحبـ عـلـىـ تـرـكـياـ، فـالـمشـهـدـ الأمـيرـكيـ معـ تـرـكـياـ فـيـ الثـورـةـ السـورـيةـ وـتـفضـيـلـهاـ التـعاـونـ معـ إـيـرانـ عـلـىـ حـسـابـ تـرـكـياـ التـيـ كـانـتـ حـلـيفـاـ غـرـبيـاـ وـأـمـيرـكـيـاـ مـمـيـزاـ لـعـقـودـ، وـلـمـ تـشـفـعـ لـتـرـكـياـ كـلـ هـذـهـ الـخـدـمـاتـ الـتـيـ قـدـمـتـهـاـ لـلـغـرـبـ وـأـمـيرـكـاـ عـلـىـ اـمـتدـادـ الـعـقـودـ الـماـضـيـةـ، لـتـجـدـ أـنـقـرـةـ نـفـسـهـاـ الـيـوـمـ عـارـيـةـ أـمـامـ التـغـولـ وـالـصـلـفـ الـإـيـرـانـيـ عـلـىـ حـدـودـهـاـ فـيـ الـعـرـاقـ وـسـورـيـةـ دـوـنـ أـيـ رـقـبـ أوـ حـسـيـبـ، بلـ وـبـمـسـاعـدـةـ أـمـيرـكـيـةـ وـغـرـبـيـةـ مـكـشـفـةـ وـمـفـضـوـحةـ، وـفـوـقـ هـذـاـ الصـمـتـ الـغـرـبـيـ إـزـاءـ التـقـارـيرـ الـتـيـ تـتـحدـثـ عـنـ دـعـمـ إـيـرانـيـ لـلـمـجـمـوعـاتـ الـكـرـديةـ التـرـكـيةـ..

لم يـفـلـحـ قـادـةـ تـرـكـياـ عـلـىـ مـدـىـ سـنـوـاتـ فـيـ إـقـنـاعـ الـغـرـبـ بـإـقـامـةـ مـنـطـقـةـ آـمـنـةـ عـازـلـةـ لـمـلـاـيـنـ السـورـيـنـ الـهـارـبـيـنـ مـنـ الجـحـيمـ الـإـيـرـانـيـ وـالـرـوـسـيـ وـالـطـائـفـيـ فـيـ الشـامـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ الـعـازـلـةـ وـالـآـمـنـةـ سـتـحـمـيـ أـورـباـ كـلـهـاـ مـنـ مـوجـاتـ الـهـجـرـةـ وـالـلـجوـءـ الـتـيـ تـجـتـاحـهـاـ، وـلـكـنـ عـلـىـ مـاـ يـبـدـوـ فـإـنـ أـمـيرـكـاـ وـالـغـرـبـ بـشـكـلـ عـامـ حـسـمـواـ خـيـارـهـمـ وـهـمـ قدـ حـسـمـوهـاـ مـنـذـ عـقـودـ وـلـكـنـ تـأـخـرـ بـعـضـنـاـ فـيـ فـهـمـهـ مـنـ أـنـ هـذـهـ الدـوـلـ الـتـيـ صـنـعـتـ فـيـمـاـ بـعـدـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـ الـأـوـلـيـ وـالـثـانـيـ إـنـمـاـ هـيـ دـوـلـ لـلـأـقـلـيـاتـ

فقط، والأكثرية السنوية المقيمة فيها هي فائض سكان، يمكن التخلّي عنهم سريعاً كما يجرياليوم في تباري الغرب وتسابقه بقبولهم كمهاجرين لديهم، من أجل الإبقاء على طاغية الشام..

واشنطن خذلت أنقره تماماً بدعم الأكراد وتشجيعهم على إقامة كاتونهم العربي وسياسات تطهيرهم العرقي على حدود تركيا، وكذلك بخذلانها في عدم تسليمها الملف السوري وإنما توزيعه على تركيا والأردن، وحين سلمته لها لم تثق بها، ولا تعامل معها أبداً كحليف كما ادعّت لعقود، وعلاوة على ذلك كان الرفض الأميركي للإنسحابات التركية على حدودها، فسعت واشنطن إلى نسخ مشروعها الأردني بتدريب المجموعات السورية، في تركيا ولكن الأخيرة لم ترتاح للمشروع فسعت إلى تفشيّله كي لا يتحول المشروع إلى مشروع معاد لها..

اليوم مع الغزو الروسي للسواحل السورية المواجهة لتركيا لم تتحرك واشنطن لدعم حليفتها تركيا، لا سيما أن ذلك سبقه سحب بطاريات صواريخ باتريوت الأميركي، وهو تحرك أميركي مثير للجدل، ويشير الانتشار العسكري الروسي في الساحل السوري إلى أن غاياته أكبر من مواجهة داعش كما هو معلن روسياً، إن كان من توسيع القاعدة الجوية به حميميم، أو من نشر أجهزة مضادات جوية متنقلة، بالإضافة إلى الطائرات الضخمة الروسية المنتشرة كلها يشير إلى أن المستهدف هو تركيا، يقابلها صمت الأميركي وفي أحسن الأحوال تعبير عن القلق، لكن سريعاً ما تبدد بعد أن اتجه الأميركيون إلى مفاوضات عسكرية مع الروس بشأن تنسيق تحركات الطرفين في الشام..

لكن على تركيا أن تعي وتدرك شيئاً مهماً أن باكستان لم تستتبّ مشاريعها في أفغانستان وإنما رعت مشاريع موجودة أصلاً ودعمتها ولذا فقد نالت قبولاً في البداية لدى الحزب الإسلامي الأفغاني بزعامة قلب الدين حكمتياً ثم بمشروع حركة طالبان أفغانستان وكلاهما كانا مشروعين وطنيين أصليين، ولذا فعلت السياسة التركية أن تدفع باتجاه دعم مجموعات سورية وطنية مقبولة شعبياً ووطنياً، بعيداً عن العرقية، فالمعروف أن الشعب السوري لديه حاسة سادسة هي الوطنية، وبالتالي فإن التلاعب بها قد يؤدي إلى مفاعيل عكسية لا تُحمد عقباها.

ترك برس

المصادر: